

أثر محاضرة ألقاها أمير الزمزم في «الاندلس»

الحياة العربية بالاندلس

أسف، عبرة، أمل، الحياة الأدبية، الثقافة العلمية، خاتمة

نسخ الدهر آية الأعراب بين هذى الربا وتلك الهضاب
نبأتني «البرنات» أن ذراها أقمرت من وشائج الأنساب
وغدا مجد «طارق» و«نعمير» بدداً بين دارس وخراب
وخبث شعلة «الخلائف» لما وهنت بينهم عسرا الأسباب
وانقضت دولة وطاحت عروش بعظام الملوك والحجائب
وانبرى الغرب يأخذ الشرق بالثأر، يصيب الأذى بغير حساب
وإذا أدبر الزمان وولى أجفل «الصقر» من نقيب الغراب

فاسألوا الغرب أين كانت دعاويه من العدل والحجا والصواب
واسألوه : أين الوفاء لقوم عاشروا الغرب عشرة الأجيال
ورأوه على المشقة داراً تجمع الشمع بعد طول اغتراب
نزلوها فصيروها جنانا في جمال الصبا وعذب الشراب
نشروا العدل والمساواة فيها وأماتوا زعامة الألقاب
أخذوها بالدين والعلم والحلم ، وكف الأذى وفك الرقاب
حيث أضحت لهم مثابة علم تقتفيها الركاب إثر الركاب
قصدها وفودهم تبارى في طلاب العلوم أى طلاب
أعجبهم قرائح الشرق لما أيقنوا أن ذوقه غير ناب
ورأوا فيه مشرعا مستطابا من ثمار العقول والألباب

ثم كانوا على «الرعاة» ذئابا إنما الغدر من طباع الذئاب

تلك والله وصمة في جبين الغرب مقرونة بدم وعاب
فاذكروا ذاك يابني الشرق وابكروا بالدم الطاهر مصرع الانجباب
إنما تنهض الشعوب بذكرى سالف المجد في عصور الشباب

يارعى القصر والرُصافة راع بعد طول الآباد والاحقاب
شهدا المجد حين كانا طريين وكانا سراجا غير خاب
وشدا فيهما الزمان عروس الد هرين اللسات والأتراب
وتغنّت بلابل الأدب الجسم بشعر النهى وشعر التصابي
فالمليخ «ابن عبدربه» إن تغنى مازج السحر بالمعاني العذاب
وابن «زيدون» إن ترسل يوما كان حلوا الوداد مر العتاب
و«ابن حمديس» كالمصور، يرمى عن خيال محلق خلاب
و«ابن عمار» لا يرى العيش إلا تحت ظل الشراب والأصحاب
بالصبا بالرُبا «خفاجة» يلهم واصفا، مبدعا، مليء الوطاب
يشبه الطير يألف القطر والفجر، ويهوى نضارة الأعشاب
ويريك الحياة حافلة بالجود واللهم والرضا والغلاب
و«ابن دراج» في الوداع يمينك بنيل المنى، وقرب الأياب
يؤثر الجزل والغريب ويأبى عند وصل الوغى سوى الأغراب
«كابن هان»، وما أرى لابن هان مثيها في النسيب والأطناب
عبرى يكاد يخلق بالشعر خيالا مجسما في إهاب
فهو في الشعر إن يك الشعر وحيا مبلغ الوحي أو رسول الخطاب

وجرت ثورة العقول تباعا فأماطت عنها كثيف الحجاب
من فقيه وكاتب وملم يقنون الحياة في كل باب

فهي أنى استردتها مسرح الجد وملهى الصبا ومسلى المصاب
وتجلى ثقافة « السمر » فى وا ديهو حرة كضوء الشهاب
فاسألوا « الأيضى » المدلّ وقولوا طبعيا ثقفت أم باكتساب ؟
يا لحا الله فى المعالى دَعِيًّا ماله يوم يدعى من جواب !
ولحا الله كل باغ على الشر ق ، العريق العلا ، العريف الجنب !
فلك الدهر دائر سوف يطوى الغرب طى السجل صحن الكتاب !
وهل الدهر غير مافيه من خلق وخلق كلاهما فى انقلاب ؟

يا أخى للزمان حسبك ما حاضرتنا تمتعا جزيل ثواب
دبجت « أندلوش » يمنالك فى غير لجاج أو حيرة واضطراب
يراع من الثقافة سمح جائل فى بحورها جواب
فأنتنا فريدة تنهادى فى جلال المشى ويف الثياب
وهى غريبة كما يدعى الغرب ب سفورا ليست بذات نقاب
وهنا آيات شخصية لاداعى لذكرها .

ويح نفسى لو أن لى صوت « إسحق » وقيثارة الفتى « زرياب »
لتغنيت أو تمنيت ، لكن يا أخى للزمان . هل بك ما بى ؟

فاستفيدوا من علمه وأفيدوا من تُسَوِّكُون معشر الطلاب ؟
وأميطوا عن العقول صداها إنا الورد من خلال التراب
إنا أنتم لمهر خلقتم لا لفقير خلقتم أو يباب
لا تغرنكم مظاهر دنيا نحن منها فى حيرة وارتباب
واعلموا أنا الحياة فلاة ضل فيها من يكتفى بالسراب

عبد العزيز محمد خليل

مدرس بمدرسة الحليمة الابتدائية للبنات